

تفسير البحر المحيط

@ 416 نزل ذلك في أبي جهل ومصعب بن عمير العبدي ، رضي الله تعالى عنه . وعنه أيضاً { فَأَمَّا مَن طَغَى } : فهو أخ لمصعب بن عمير ، أسر فلم يشدوا وثاقه ، وأكرموه وبيتوه عندهم ؛ فلما أصبحوا حدثوا مصعباً ، فقال : ما هو لي بأخ ، شدوا أسيركم ، فإن أمه أكثر أهل البطحاء حلياً ومالاً فأوثقوه . { وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ } فمصعب بن عمير ، وفقى رسول الله صلى الله عليه وسلم) بنفسه يوم أُحد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت المشاقص في جوفه ، وهي السهام . فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم (متشطحاً في دمه قال : (عند الله احتسبك) ، وقال لأصحابه : (لقد رأيتك وعليه بردان ما تعرف قيمتهما ، وإن شراك نعله من ذهب) . قيل : واسم أخيه عامر . وفي الكشف ، وقيل : الآيتان نزلتا في أبي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير ، وقد قتل مصعب أخاه أبا عزيز يوم أُحد ، ووفقى رسول الله صلى الله عليه وسلم) بنفسه حتى نفذت المشاقص في جوفه . انتهى .

{ يَسْأَلُ لُؤْلُؤًا } : أي قريش ، وكانوا يلحون في البحث عن وقت الساعة ، إذ كان يتوعدهم بها ويكثر من ذلك ، فنزلت هذه الآية . { أَيْ يَسْأَلُ مَرْسَاهَا } : متى إقامتها ؟ أي متى يقيها الله ويثبتها ويكونها ؟ وقيل : أيا من منتهاها ومستقرها ؟ كما أن مرسى السفينة ومستقرها حيث تنتهي إليه . { فَرِيحٌ مِّنْ ذِكْرَاهَا } ، قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (يسأل عن الساعة كثيراً ، فلما نزلت هذه الآية . انتهى . والمعنى : في أي شيء أنت من ذكر تحديدها ووقتها ؟ أي لست من ذلك في شيء ، { إِذْ نَزَّ مَآءٌ أَنْتَ مُنْذِرٌ } . { إِلَيْ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا } : أي انتهاء علم وقتها ، لم يؤت علم ذلك أحداً من خلقه . وقيل : { فَرِيحٌ } إنكار لسؤالهم ، أي فيم هذا السؤال ؟ ثم قال : { أَنْتَ مِّنْ ذِكْرَاهَا } ، وعلامة من علاماتها ، فكفاهم بذلك دليلاً على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ، ولا معنى لسؤالهم عنها .

{ إِذْ نَزَّ مَآءٌ أَنْتَ مُنْذِرٌ مِّنْ يَخْشَاهَا } : أي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذي لا فائدة لهم في علمه ، وإنما بعثت لتنذر من أهوالها من يكون إنذارك لطفاً به في الخشية منها . انتهى . وهذا القول حكاه الزمخشري وزمكه بكثرة ألفاظه ، وهو تفكيك للكلام وخروج عن الظاهر المتبادر إلى الفهم ، ولم يخله من دسيمة الاعتزال . وقرأ الجمهور : { مُنْذِرٌ مِّنْ } بالإضافة . وقرأ عمر بن عبد العزيز وأبو جعفر وشيبة وخالد الحذاء وابن هرمز وعيسى وطلحة وابن محيصن وأبو عمر في رواية وابن مقسم : منذر بالتنوين . وقال الزمخشري : وقرء منذر بالتنوين ، وهو الأصل والإضافة تخفيف ، وكلاهما يصلح للحال والاستقبال ؛ فإذا

أريد الماضي ، فليس إلا الإضافة ، كقولك : هو منذر زيد أمس . انتهى . أما قوله : وهو الأصل ، يعني التنوين ، فهو قول قد قاله غيره ممن تقدم . وقد قررنا في هذا الكتاب ، وفيما كتبناه في هذا العلم أن الأصل الإضافة ، لأن العمل إنما هو بالشبه ، والإضافة هي أصل في الأسماء . وأما قوله : فإذا أريد الماضي ، فليس إلا الإضافة ، فهذا فيه تفصيل وخلاف مذكور في علم النحو . وخص { مَن يَخْشَاهَا } لأنه هو المنتفع بالإنذار . { كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ نَارَهُمْ } : تقريب وتقرير لقصر مقامهم في الدنيا . { لَمَّ } : لم يقيموا في الدنيا ، { يَلَابِثُوا إِلَّا عَشِيَّةً } : يوم أو بكرته ، وأضاف الضحى إلى العشية لكونها طرفي النهار . بدأ بذكر أحدهما ، فأضاف الآخر إليه تجوّزاً واتساعاً ، وحسن الإضافة كون الكلمة فاصلة ، وإسبحانه وتعالى أعلم . . .